obeikandl.com

المطاردة إلى العلمين

الفصل الثامن

obeikandl.com

بينما كانت قوات المحور ماضية في عملية مطاردة الجيش الثامن بلا هوادة في أثناء انسحاب وحداته صوب الحدود المصرية كان في مقدرة روميل المضي في هذه العملية إلى أن يتم له تدمير الجيش الثامن تمامًا، ولكنه فضَّل أن تتوقَّف عملية المطاردة مؤقَّتًا؛ ليتسنَّى له تحقيق أحد الأهداف المهمة التي كان يتطلَّع إليها من جهة، وهو مهاجمة طبرق، والاستيلاء عليها حتى لا تصبح مصدر تهديد لجنب قواته ومؤخرتها في أثناء تحرَّكها في اتجاه الحدود المصرية، وحتى لا يتسَّع الوقت لحاميتها لتنظيم دفاعاتها، وتقوية تحصيناتها.

وحتى تُتاح له الفرصة من جهة أخرى للاستيلاء على ما تضمُّه طبرق من مستودعات ومخازن ضخمة مليئة بمواد الإعاشة والمعدات والوقود والذخائر، مما سوف يحل العديد من مشاكله الإدارية، ويؤدي إلى تقصير خطوط مواصلاته التي طالت عندما يتمكَّن من استخدام مينائها الذي يقع على البحر المتوسط، فضلاً عما سيحدثه سقوطها من تأثير مُفْجِع بالنسبة لبريطانيا وحلفائها في الوقت الذي سيؤدي فيه إلى رفع الروح المعنوية لقواته، وإعطائها قوة دافعة لمواصلة التقدم في اتجاه الأراضي المصرية.

وعندما عقد روميل العزم على وجوب الاستيلاء على طبرق أولاً قبل القيام بعملية المطاردة قام بحشد قوات الهجوم حول الدودة وسيدي رزق، وكان مصمِّمًا على ضرورة الانتهاء من عملية اقتحام طبرق بسرعة، والاستيلاء عليها بلا أي تأخير حتى لا يتيسَّر الوقت أمام قيادة الجيش الثامن لإعادة تنظيم قواتها، واستعادة توازنها وتماسكها.

وكانت الخطة التي وضعها روميل تقضي بقيام فرق المشاة الإيطالية بضرب الحصار حول استحكامات طبرق الخارجية؛ لتثبيت حاميتها البريطانية، ومنع تسلُّل أية وحدات منها إلى الخارج، بينما يتم شن الهجوم الرئيسي لاقتحام دفاعاتها بواسطة فرقتين ألمانيتين: (الفرقة 15 بانزر والفرقة 90 المشاة الخفيفة)، وفرقة أريتي الإيطالية، ومواصلة الضغط عليها حتى لا تفيق من صدمة الهزيمة.

وقُبَيل فجر يوم 20 يونيو 1942 ـ وبعد نجاح وحدات المهندسين في فتح الثغرات في حقول الألغام والأسلاك الشائكة المحيطة بدفاعات طبرق ـ بدأت قوات المحور المدرَّعة ـ التي كانت تتبعها الفرقة 90 المشاة الخفيفة ـ في اقتحام المواقع الدفاعية البريطانية تحت ستارة قوية من نيران المدفعية، وبمعاونة مباشرة من طائرات الانقضاض الألمانية "شتوكا"، ومما ساعد على سرعة نجاح العملية تركيز الهجوم المدرَّع من اتجاه الجنوب الغربي على مواجهة ضيقة كانت تحتلها وحدات اللواء 11 الهندي التي لم تتمكَّن من الصمود طويلاً أمام هذا السيل الجارف، فتساقطت مواقعها بسهولة في أيدي قوات الهجوم.

ولم تلبث وحدات المحور المدرَّعة أن اندفعت عبر ثغرة الاختراق إلى داخل المدينة، وتمكَّنت بعد معارك عنيفة من تدمير الدبابات البريطانية التي اشتبكت معها، ومن اجتياح الوحدات التي صادفتها في طريقها خلال زحفها صوب الميناء الذي لم تلبث أن استولت عليه قبل حلول الظلام، وعلى كل السفن والقوارب التي كانت راسية فيه.

ولم يمر أكثر من 36 ساعة على بدء معركة طبرق حتى أصدر الجنرال كلوبر (قائد الحامية، وقائد الفرقة 2 جنوب أفريقيا) أمره إلى قواته بالاستسلام، وعلى الرغم من اشتعال الحرائق، وعمليات النسف والتدمير التي قامت بها مجموعات من الحامية البريطانية داخل المخازن والمستودعات الكبيرة لحرمان الألمان مما كانت تضمُّه من كميات الوقود والمعدات والمؤن الضخمة التي كانت تُقَدَّر بعدة ملايين من الجنيهات، والتي كانت معدة لكي تكفي استهلاك الحامية البريطانية لعدة شهور فإن القوات الألمانية نجحت في الاستيلاء على معظم هذه المخازن والمستودعات سليمة بعد أن تمكَّنت من إحكام قبضتها على المدينة، ووقف كل عمليات النسف والتدمير.

وأحدث سقوط طبرق بهذه السرعة والسهولة دويًا هائلاً في كل مكان، خاصة بعد استسلام حاميتها للألمان، ووقوع جميع أفرادها في الأسر، وكان عددهم يبلغ نحو 25

ألف ضابط وجندي بكامل أسلحتهم ومعداتهم، وقد وُجِّهَ نقد شديد للوحدات التي كانت تدافع عن طبرق، وخاصة الفرقة 2 جنوب أفريقيا، ولقائدها الجنرال كلوبر على هذا التخاذل في المقاومة بالمقارنة بحاميتها السابقة التي قاومت الحصار لمدة ثمانية شهور عام 1941 دون أن تسلم.

وفي صباح يوم 21 يونيو أخطر روميل قيادته العليا أن طبرق قد سقطت في يده، وفي اليوم التالي وصلته إشارة لاسلكية من مقر القيادة ببرلين بأن هتلر قد منحه رتبة فيلد مارشال (أعلى رتبة عسكرية)، وكان روميل وقتئذ في حوالي الخمسين من عمره، ولذا كان يُعدُّ أصغر فيلد مارشال في الجيش الألماني، وبعد حضوره حفلاً صغيراً أقامه ضباط قيادته وسط دوي المعارك احتفالاً بترقيته أرسل روميل إلى زوجته في ألمانيا خطابًا قال لها فيه: "لقد منحني هتلر رتبة فيلد مارشال... كنت أفضل لو كان قد منحني فرقة مدرَّعة أخرى".

وبعد سقوط طبرق كان الوقت متأخِّرًا لوقف الجيش الثامن على خط دفاعي عند الحدود المصرية، ولذا قرر الجنرال ريتشي ـ بموافقة رئيسه الجنرال أوكنلك ـ انسحاب قواته إلى خط مرسى مطروح، ولم يتردَّد روميل في اغتنام الفرصة التي سنحت له للقضاء على الجيش الثامن، وتحقيق نصر حاسم لبلاده بالوصول إلى القاهرة والإسكندرية وقناة السويس، خاصة بعد أن وصلته الأنباء بأن المسئولين البريطانيين في القاهرة وعلى رأسهم السفير البريطاني مايلز لامبسون يعدوُّن العدة للانسحاب من مصر.

وفي مساء يوم 24 يونيو وصلت قوات المحور إلى سيدي براني، وواصلت تقدُّمها في اتجاه مرسى مطروح.

وفي يوم 25 يونيو وبعد أن بلغت الكارثة العسكرية البريطانية ذروتها أصدر الجنرال أوكنلك أمره بتنحية الجنرال ريتشي عن القيادة، وتولَّى أوكنلك بنفسه قيادة الجيش

الثامن، وبرغم الدفاعات الحصينة التي كانت تحيط القاعدة البريطانية في مرسى مطروح فقد كان من المستحيل قدرتها على الصمود في وجه الهجوم الألماني؛ نظراً لفقد الجيش الثامن قواته المدرَّعة، وانكشاف الجناح الأيسر لحامية مطروح المتاخم للصحراء، مما يسهُل معه ـ على قوات المحور المدرعة ـ القيام بالالتفاف حولها وتطويقها، ولذا لم تكد قوات المحور تجري تحركاتها يوم 27 يونيو للإطاحة بمرسى مطروح من الغرب والجنوب، وتطويقها من الشرق حتى أصدر أوكنلك أمره بسرعة انسحاب القوات البريطانية منها؛ خشية تكرار مأساة طبرق.

وواصلت قوات المحور عملية المطاردة للبريطانيين بلا هوادة متقدمة من مرسى مطروح بعد سقوطها في أيديها على محورين: أولهما التقدُّم على محور الطريق الساحلي وثانيها التقدُّم بحذاء خط السكة الحديدية الممتد من الإسكندرية إلى مطروح، ولعب الطيران البريطاني دوراً أساسيًّا في حماية انسحاب القوات البرية، وعدم تحويل الانسحاب إلى كارثة مروعة وفوضى لا نظير لها.

وفي يوم 29 يونيو وصلت قوات الجيش الثامن المنسحبة إلى خط العلمين الذي كان الجنرال أوكنلك ـ بسبب بُعد نظره ـ قد أصدر الأمر لقواته بتحصينه، وإقامة سلسلة من الدفاعات على امتداده منذ انهيار خط الغزالة، وتدمير القوة المدرَّعة البريطانية في 13 يونيو، وقد بلغت خسائر البريطانيين في معارك شهر يونيو 1942 حوالي 80 ألف ضابط وجندي.

ومما زاد من حجم الهزيمة أن قوات الجيش الثامن لم تصل إلى خط العلمين في شكل تشكيلات أو وحدات قائمة بذاتها، بل كانت فلولاً مبعثرة، وخليطًا من شتى الأسلحة والوحدات لا يجمعهم سوى شدة الإنهاك واليأس والمعاناة من مرارة الهزيمة المنكَرة التي حاقت بهم، وفي يوم 30 يونيو وصلت قوات المحور أمام الخط الدفاعي البريطاني في العلمين على بعد 100كم من الإسكندرية.